بسم الله الرحمن الرحيم

« معذرةً! فالحياة حُلْوَة »

الحياة الدنيا مركبة من نقيضين: خير وشر، فمن صرف نظره إلى جوانب الخير في الحياة وجد الخير، ومن صرف نظره إلى الشر فيها لم يجد إلا الشر، «فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» وهذا الحديث من جوامع الكلم، ففيه ميزان السعادة والشقاء وطريقهما، ويبقى الاختيار لنا. ولكن أكثر الناس يختارون مناظر الشر والشقاء ويحملون من أجلها الهم الثقيل.

(نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا)

وقد تنبهت لهذه الحقيقة خير معلِّمي وأقربهم إليّ قبل عشرين سنة. وكنت معه في طريقنا إلى اجتماع بين المغرب والعشاء مع إخوة لنا يتبارون في سرد المساوئ والوعيد لاشتهاء للمساوئ عن فساد الحاضر بشرور المصير في المستقبل، في مخالفة صريحة مصيرة على مخالفة لشرع الله في الكتاب والسنة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾، ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾، «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، «ما قال: هلك الناس فهو أهلكهم»، واخترنا "الرباط" في المسجد وأجلنا الصلاة بانتظار الصلاة. ومنذ ذلك اليوم بفضل الله عرفت نظري إلى نعمة الله بالخير وشكره عليه. وكانت أول فتنة في القرية الأولى الأجرى قد قامت - بوسوسة من الشيطان - على مثل ذلك، وانتهت بقتل ولي الله ورسوله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه بحجة عدم العدل في توزيع الأموال والمناصب، بل قتله بعض الأفراد في حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾.

وبيده يديّ مقال عن الأمر نفسه في مكان بعيد بعدة أكثر الناس من أهله

وفيه غيرهم - أكبر بقاع الأرض نصيباً من شرور الحضارة الصناعية من حيث الجريمة والحوادث والمخدرات والتلوث البيئي والأوبئة الطارئة والتضخم المالي والبطالة والتمييز العنصري: الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعالج المقال موضوع تفليس السقوط على الرضا من وجهة متميزة:

١) أنه بلغ من الحدة درجة تجاوزت التركيز على جوانب الشر والانزواء عن جوانب الخير، إلى تهويل الشر وجحود الخير. يقول "أورلاندو باتريسون" أحد أساتذة جامعة "هارفرد" فيما يسمى "علم الاجتماع": إنه من المدهش أن النخبة في نيويورك واشنطن - فضلاً عن غيرهم - مستمرة في ادعاء أن كل شيء يزداد سوءاً، مع أن كل شيء في الواقع - يتحسن بوضوح (في المعقدة الأخيرة بمقاييس البحث والتمحيص لا بمقاييس الشائعات).

ونتيجة لاحصاء عام ٩٦ ظهر التناقض في رأي من خضعوا للاحصاء؛ فبينما اعترف ٧٥٪ منهم أن حالتهم جيدة، لم يعترف غير ٥٥٪ منهم بأن حالة البلاد جيدة.

٢) بالمقارنة الاحصائية يتبين مدى التحسن الذي طرأ على هذه البلاد التي يقلدها الناس في الكثير من الشر والقليل من الخير في أدق أحوالهم وأجلها.

الحوادث: في عام ٨٥ مات ٢٩ من كل مائة ألف، وفي عام ٩٧ مات ٢٥.

تقص عدد الأموات في حوادث العمل من ١١,٥٠٠ عام ٨٥ إلى ٦,٢١٨ عام ٩٧.

تقص عدد الأموات في حوادث الطرق الى حد قياسي: ٢ لكل مائة مليون ميل.

في عام ٦٠ مات ٦,٠٠٠ في الحرائق، وتقص العدد عام ٩٧ إلى ٢,٦٠٠. والسبب البشري الأول في كل ذلك: اهتمام المواطن بالسلامة وزيادة وعيه بالخطر.

المخدرات: تقص عدد متعاطي الكوكايين بين طلاب الثانوية من ١٧٪ عام ١٩٨٥ الى ٩٪ عام ٩٨. وتقص عدد متعاطي مخدرات التهييج بينهم من ٢٢٪ عام ٧٥ إلى ١٦٪ عام ٩٨. وتقص عدد شاربي الخمر بينهم من ٧٠٪ عام ٨٠ الى ٥٠٪ عام ٩٨. وتقص عدد المدخنين البالغين من ٤٢٪ عام ٦٥ إلى ٢٥٪ عام ٩٥.

الاقتصاد: البطالة والتضخم في أدنى درجاتهما منذ ربع قرن، والإنتاج الصناعي أكثر ٢٥٪ مما كانه عام ٧٠، ومستوى المعيشة في ازدياد معترف به من الأغلبية، إضافة إلى الفائض المالي العام الذي لم تعرف البلاد مثله منذ سنوات عديدة، وتناقص الفروق في الأجور بين البيض والسود.

البيئة: نقص دخان الوقود ٢٢٪ منذ عام ٧٠ مع أن عدد السيارات زاد ٧٥٪. ونقص غاز "سلفر ديوكسايد" في الجو ٢٥٪ وذرات السخام ٧٥٪ "وكاربون مونوكسايد" ٢٠٪ والرصاص ٩٨٪ و"سي إف سي" الذي ينقص طبقة الأوزون لم يعدله وجود يذكر، والسبب في ذلك مشترك بين المواطن والدولة.

الصحة: معدل الموت بالسرطان بدأ يتناقص مع بداية التسعينيات بعد أن كان يتزايد في العشرين سنة قبلها. ونقص معدل الموت بمرض القلب ٢٨٪ بين عام ٨٧ و٩٧. ونقص معدل الموت بمرض الأيدز نقصاً ملحوظاً. وزاد معدل سني الحياة من ٥٤ سنة في عام ٥٠ إلى ٧٧ سنة الآن.

ومع كل ذلك، يصر الأغلبية هنا وهناك - وبخاصة في وسائل الإعلام التي تعيش من نشر أخبار الشر - على أن كل شيء يسير في طريقه الخاطئة. ومن أغرب الأمثلة المتناقضة أن الغرب (ومنه أمريكا) يؤكد أن النظام العالمي الجديد نظمة للقضاء على القومية العربية والإسلام، بينما يؤسس جميعه أصلاً سري في أمريكا ~~لحماية أمريكا~~ - يقدر عدد أفراده بمائة ألف مسلح لحماية أمريكا من مؤامرة النظام العالمي الجديد، وقد نكون لهذه المرة صدقنا "عقيدة المؤامرة" استثناء من عادتنا الاستراد.

ومعذرة لمرة أخرى إن الحياة حلوة، وعلينا شكر الله عليها دوماً، قولاً وعملاً.

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد